أبحث عن شاعر...

انكر علي الناس (وبالاخص الشعراء!) ادراج هذا البحث ضمن ابحاث المجلة وقالوا انه فيها بحث زائد (كزيادة التعويضات في المرتبات والوظائف في الادارات) ليس فيه شيء من الفائدة او فيه منها شيء لا امتاع فيه ولا ابداع، وقالوا ايضاً قديماً فرغت ادارة مصلحة الالقاب العامة من تسجيل انواعها واشكالها للسادات المستحقين. والحكومة التي حملت عهدة هذه الالقاب فوق كاهل مبرتها بل فوق عاتق جريدتها (السعادة) الغراء قد قامت رسمياً بذلك اتم القيام واضبطه فاخذ كل ذي حق حقه مع الحسنى وزيادة وتوصل هذا بلقب (شاعر المغرب) وذاك بـ (بلبل المغرب) والاخر بـ (زرزور المغرب) كما توصل غيرهم في مصر والشام وفي تونس والعراق وفي الجزيرة والجزائر بالقاب (كاتب الدهر) و (حجة العرب) و (شحرور النيل) و (شاعر الشباب) و (امير الشعراء) وهكذا دواليك... المصيبة عامة والقسمة عادلة والتراضي واقع بيد ان المهزلة قاذعة والضحك طويل والسكوت اسلم وكان من ذلك ما كان فلم يختصم فيه اثنان او ينتطح عنزان ولا تهجم احد ان يزيد اليها لقبا، فيحدث في الناس شغبا، حتى جرى على القرطاس قلمك الجديد، من حديد، يجوره وعسفه، يبحث عن الشاعر بظلفه، فشكرنا له المعروف، وحمدنا مساعدة الظروف، اذا به يزيد في الطنبور نغمه وفي الطين بله فحاق لنا لقب (شاعر الحمراء) بارزاً في وجه الادب كما برز في وجه (سيرانو) انفه الطويل المحدودب العريض؛ فلا عاش انف (سيرانو) ولا عاش لقب شاعر الحمراء!

وهكذا ينكر علي الناس وبالاخص (الشعراء!) معالجتي موضوع البحث عن الشاعر ولعلهم مخطئون.

انا لا اقصد من هذا البحث الى منازعة الحكومة في شأن الالقاب التي اعتادت ان تفرقها بواسطة صحيفتها الحسناء على تجار سوق الشهرة كما تفرق درجات الاوسمة على العظماء وغير العظماء وحصص الاموال على موظفي المصالح بالاستحقاق وبدونه، ولا احب ان اتدخل في ذلك وقد علمت ما هنالك. الذوق السليم في لغة العرب. والمهارة التامة في علم الجبايا والضرائب. وعلمي العروض والقافية والمحسنات البديعية في مقطعات الازمة الاقتصادية. وانما اريد ان احوم حول ضوء الحقيقة واحاسب عن الثنية والدقيقة فارفع اللثام عن محاسن الشعر وقبائح اللقب وحتى اذا ما وقعت على القاب (السعادة) الطيبة ففحصتها وتعرفت خالصها من زائفها فليس هناك من يعتقد ان صاحب (السعادة) معصوم عن الخطا فضلا عن العمد او ان القابها غير ضخمة او غير عزيزة علينا، كلا! انها لضخمة وانها لعزيزة غير ان الحق اعز منها واضخم. ونحن من جهة اخرى زعماء تضحية وانفاق وفي سبيل التهذيب والاصلاح والتضحية لا اقل من ان نكتفي باقتضاء الالقاب بدل الاشتراكات اذا كان كل المشتركين ذوي القاب، والواقع مع الاسف ان ذوي الالقاب غير مشتركين ولا يريدون عن القابهم بديلا بكل عرش الصحافة وممالكها الواسعة النطاق.

والمغرب والحمد لله استيقظ من سباته ونهض من رقدته فظهرت فيه نخبة عاملة نبيلة تحب الحق وتعين عليه

وتعرف المجد وتتوق اليه وهاته النخبة نفسها هي التي تهيب بي الى حصد هشيم العناوين الجافة اليابسة كجيوب اصحابها وتعلن انها فيما يروج بهذا القطر الرفيع من الالقاب الجوفاء والنعوت الفارغة ليست على راي الناس (وبالاخص الشعراء !) في شيء.

أما ما عارض في شأنه المعارضون ونكتوا وبكتوا ناقمين ان زدنا الى العناوين عنواناً والى الاسماء اسماً فأمر لا آنف من النظر فيه والامعان، والتأمل والاستبيان. خصوصاً وقد أرى من بين أولائك الناقمين أقرب الناس الي وأطوعهم للواجب ان يقتدي بي مساعدي عبد الاحد الكتاني اشخصته الى مراكش لجمع الاشتراكات (كالزيارات) فقفل راجعاً بحقيبة ملأى برسائل الاحتجاج على لقب (شاعر الحمراء) لا غير !

نعم قلت شاعر الحمراء ولاكن أشرت عليه في الاعداد السابقة باحضار شخصه وشعره الى هاته الحاضرة الرباطية (مركز المجلة والحكم) فأعالج معالجة الطبيب الحاذق دماغه وأجس نبضه ثم أخرجه للناس وعلى رأسه تاج مرصع أو طربوش مرقع واذ ذاك يصدق عليه اللقب الذي فاز به أياماً — لا أعواماً — أو ينتزع منه انتزاع الصدقات من أيدي البخلاء والاشتراكات من جيوب المماطلين.

هذا اكثر ما يطلب مني في سبيل التحري والتحقيق وأقل ما يطلب من شاعر الحمراء أن يمتثل الاشارة ويلبي الدعوة ويمد ذاته الكريمة على المشرحة وقوافيه المتناسقة تحت زجاجة النقد ولاكنه لم يفعل ولسان حاله يقول:

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل
أخاف على فخارتي أن تحطما
فلو كان لي رأسان أتلفت واحداً
ولكنه رأس اذا راح أعقما
ولو كان مبتاعاً لدى السوق مثله
فعلت ولم أحفل بان أتقدما

بيدَ أن التغيب عن مجالس الاحكام لم يمنع قط قاضياً من الفصال، والهروب عن ميادين النضال، ان طالت به الآمال، لم تطل به الآجال.

وقد حان أجلك يا (شاعر الحمراء) !

ليست عندي أبياتك فأعرضها على القراء — قراءي النبهاء — وأدعوهم الى مشاركتي فى الرأي، وليست لدي حججك فأقدمها اليهم لينظروا فيها معي نظر العارفين، ولذلك اكتفي بالحكم في شأنك بما أعلم وحدي عن قليل من كثير والعهدة عليك ان اخطأت وحاد بي القلم عن سواء السبيل.

أنت شاعر اذ قلت عن لسان المجلة ما قلت (في عددها الثاني) فأبدعت وسموت بالشعر الى أعلى الدرجات وكل مادح للمجلة لا محالة مبدع؛

وأنت شاعر في قصيدتيك (المزوارية) و (البيازية) وفي أبياتك (البغدادية) وفي (منظومتك الاخلاقية) التي نشرتها المجلة في عددها الرابع.

هذا كل ما أعرف من قوافيك وفي كلها أجد شاعرية الطبع والغرام بالجمال وسهولة التعبير وبداعة التصوير وميلا الى نفس العصر وغزارة في المادة.

ولكن الموهبة تكمل بالصناعة واني لأنتقد عليك قلة الاعتناء اجمالا فأنت تشعر سجية مرة في المقهى وأخرى في الطريق وطوراً في دار تجمعك بمن يلذ وءاونة في كن مع من لا يصلح وياتي الى ذهنك القول فترميه على

القرطاس باساس وغير اساس وتبدؤ القصيدة بمناسبة وتتمها بأخرى وفي هذا الموضع وفي ذاك وتزيد فيها ثم تحذف منها وقد تحذف الجميع بالمرة ، فوضى وكسلا وعدم ترتيب وقلة مبالات ، اوصاف عرف بها الشعراء ولو كان الشعراء أهل نظام لكانوا مثل غيرهم من الناس عقلاء.

انقم عليك هاته الاخلاق الكاسدة في سوق الادب، وانبهك الى استغلال الموهبة الكامنة فيك أتم استغلال بالتلقيح والاستعمال المتواصل والتنمية التدريجية والتعهد المادي، كلمات يجمع كلها لفظ اتقان .

والاتقان هو الامر الذي يعوزنا نحن المسلمين وينبغي لنا تطلبه بكل رغبة وفى كل حين وهو من مميزات الحياة وعليه كان اجدادنا يبنون اسس اعمالهم في المدنية التي ورثها عنهم غيرنا اليوم في كل شيء حتى فى الشعر.

حكى حاك أنه سمع حسان بن ثابت فى جوف الليل ينوه باسمائه ويقول: انا حسان بن ثابث ! انا ابن الفريعة ! انا الحسام ! فلما اصبح سأله عن السبب فى ذلك فأجابه حسان : عالجت بيتاً من الشعر فلما احكمته نوهت باسماءي وذكر له هذ البيت :

وان امرؤ امسى واصبح سالماً
من الناس ـ الا ما جنى ـ لسعيدُ

والبيت متقن انشاء ومعنى وان كنت ءاسف على ان السعادة ليست ممكنة لامثالي من هذه الطريقة التي اليها اشار.

أجل ! النقد يصيبك ويصيب غيرك والعيب فى الكثير ولهذا راعيت الزمان والمكان وقلت انك شاعر.

أما (شاعر الحمراء) شاعر مراكش فأمر ءاخر...

حق مراكش على العاطفة الشعرية عظيم . هي مقر ابن تاشفين ومجال عبد المومن وصرح ابي عنان ومضجع المنصور.

مدينة مسكونة وصحيفة مكتوبة فى آن واحد ، اقلامها الايام ومعانيها الاعمال وكتابها الجدود ومدادها الدم المهراق.

تفتخر فاس بعلمها والرباط بعفتها وتفتخر البيضاء بعمارتها وتطوان بحضارتها وسلا بعراقتها ومراكش كلمة ترادف تاريخ (المغرب) وقد عرف بها (المغرب) وبها الى الآن يسمى فى مختلف الاوطان .

مراكش أرض النخيل والنخيل شجر العرب المتصل بثادابهم اتصال الدوالي بثاداب غيرهم من مختلف الاجناس ولم يبعث في قلب عبد الرحمان الاموي شعور الغربة وحنين الوطن غير نخلة رءاها بالاندلس وحيدة تمتّ الى قريش بالجذور والعروق كما يمت هو اليها بالجدود والاعراق ، رائعة مقدودة انسته الامارة والتاج وذكرته (في الفرات ومنبت النخل) .

وهي ايضاً بلد الاضداد : نخيل ولكن في غير كثبان الرمال منبثة بل في غضون بطحاء مترعة تحوطها جبال الاطلس الشامخ ، فاذا ما تساقط عليها ثلج الشتاء ابصرت شعف تلك الاشجار مخضراً فوق الثلوج مبيضة زمرداً على لجين .

وهواء طلق عليل يلاقيك فيعافيك وينعشك ويغذيك وقد صقلت مرآته حتى انه ليخدعك خداع السراب فيريك المدينة وراء السترة وانت منها البعيد بعد اللقب الفارغ عن الشاعرية العامرة ، ولكن ما أقدره على اثارة القتام ، كالغمام ، وابكاء العيون ، بلا شجون !

وقصور عامرة بالقيان والولدان ومحاكم ملأى بالكتاب والحكام ، ولكن فيها اقوام يموتون جوعاً ولا من يرحم وآخرون ينهبون ظلماً ولا من يحكم .

وهي سوق لا حاضره ، فيها ازدحمت اجناس العشائر والعمائر متفقة النزوح والهجرة مفترقة المهاد والبطون ، فيها الاذواق والعادات واللهجات مضحكة ومبكية ، مؤتلفة ومختلفة ، طارفة وتليدة ، وفيها حرارة الصبا مع برودة الهرم ورطوبة الكرم بجانب البخل وفيها استبداد الباطل وشورى الحق وفيها الالفة والجفاء والقناعة والجشع وفيها من لا يؤدي (الامانات !).

بلد الاضداد ، في التاريخ وفي الحاضر ، فتوحات ثم لا شيء ، وانوار في ليل بهيم ، وقصور يتساقط اولها بينما آخرها لا يزال لم يكمل بناؤه .

هذه مراكش ، يلتفت اليها المتطلع فلا يكاد يفعل حتى يشخص له خيال المنار الكتبي (سبابة) في يد التاريخ قديمة باقية ، صامتة ناطقة ، واعظة زاجرة ، تشير بصدق العنوان وعظمة التاريخ وفي ظل هذا الأثر الخالد ساحة بؤس وشعوذة و(فناء) !...

فان قدر لك يوماً ان تقول فيها ما قاله الشعراء في اوطانهم وقدّر لك ان تجيد فأنت (شاعر الحمراء) والا فحسبك من الاسماء اسمك الذي أُعطيته رضيعاً (واياك والرتب العالية) .

م

— والى العدد المقبل ان شاء الله (شاعر الفقهاء وفقيه الشعراء) على المشرحة.

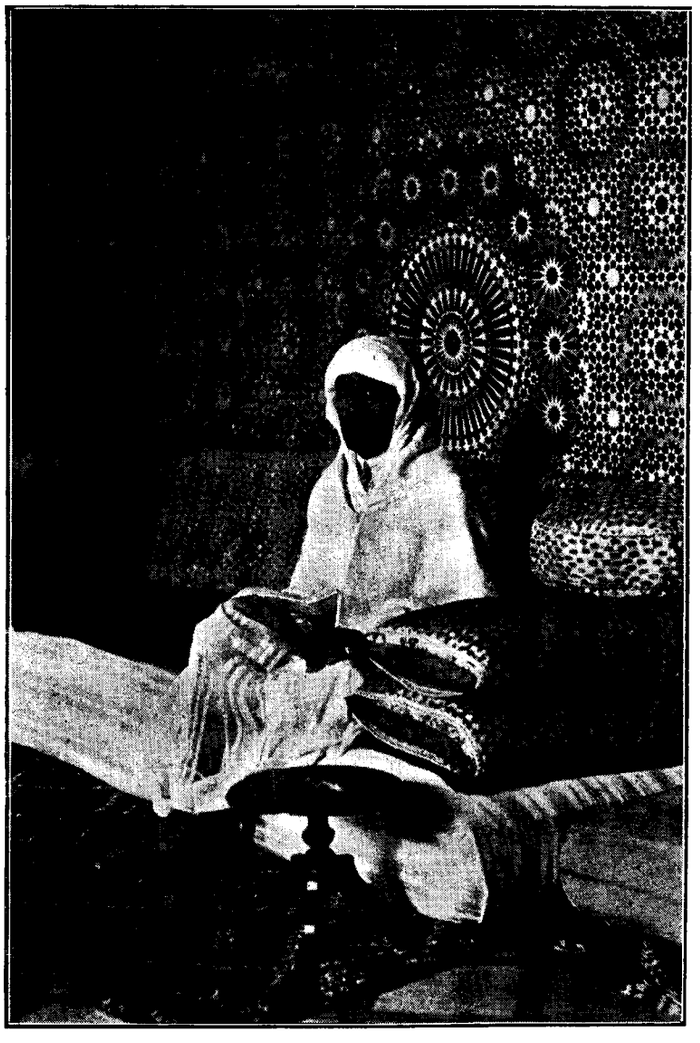

جناب باشا مراكش السيد الحاج التهامي المزواري